الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري

عبد الهادي نجا بن السيد رضوان نجا بن محمد الإبياري النحوي الشافعي، والإبياري نسبه إلى قرية أبيار التي ولد بها في عام 1236هـ/ 1821م وأبيار إحدى قرى مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية وهي من القرى الشهيرة التي لم يلتفت إليها على الرغم من أنها انجبت هامات وقمم علمية في مختلف التخصصات وليس أدل علي ذلك من شيخنا الجليل عبد الهادي نجا الابياري الذي نحن بصدد الحديث عنه.

نشأ بقريته أبيار في كنف ابيه الذي كان أحد علماء الأزهر فلقنه مبادئ الكتابة والقراءة واذاقه حلاوة الآداب وذكر الإبياري أنه تعلم على يد والده الكثير من العلوم مثل الفقه والحديث والتفسير والنحو والتوحيد وغيرها من العلوم الإنسانية، وتوفي والده ليلة الجمعة في شهر رجب سنة 1251هـ/ 1835م وكان عمره عند وفاه أبيه خمس عشرة عاماً.

وبرغبة من والده رحل إلى القاهرة لاستكمال علومه في الأزهر وتلقى العلم على يد مشايخ عصره الافذاذ أمثال شيخ الازهر الشيخ محمد الباجوري (توفي عام 1859م)، والشيخ محمد عياد الطنطاوي (توفي عام 1861م)، والشيخ محمد عليش شيخ المالكية (توفي عام 1882م) والشيخ محمد الدمنهوري (توفي عام 1869م)، والشيخ إبراهيم السقا (توفي عام 1875م) والشيخ فتح الله الخلوتي والشيخ أحمد المرصفي والشيخ مصطفى المبلط والشيخ الدمياطي وغيرهم.

كما نجد أسماء بعض من شيوخه في منظومه كتبها كإجازة قد منحها لأحد تلاميذه وهو الشيخ محمد مصطفى الطرابلسي (توفي عام 1315هـ) شيخ علماء ليبيا والذي ارسل له بيتين من الشعر طالباً فيهم الإجازة قائلاً:

يا من غدا في العلم فرد زمانه ... يا من بدا كالشمس في الأقطار
أرجوك منح إجازة أشفي بـها ... من علتي يا سيدي الإبياري

فأجابه الإبياري بمنظومه طويلة ومنها:

واقول ممتثلاً : اجزتك بالـذي ... اروي من الأخبار عن اخيار
من كل منقول ومعقول تـصـح ... روايـتـي فـيـه بلا استنكار
كالسته الكتب الصحاح وكالشفا ... وجميع مـا اروي مـن الاثار
عن ســاده غر كـشـيـخ والــدي ... بل سيدي رضوان الأبياري
عن شيخه الحبر الامين و ثبته ... بـاد كـنـار فـوق راس مـنـار
وكذلك الدردير والصبان ثــم ... الـجـوهـري، والنهج والتذكـار
وكشيخنا الباجور عـن أشياخه ... والـحـبـر فـتـح الله ذي الأسرار
وكشيخنا عبد الـغـنـي الدمـيـاط ... والمهدي بن سوده صاحب الأنوار
فالله ينفحنا بـنـفـحـة ســرهـــم ... وبكم يديم النـفع فـي الأقـطـار
ثم الصـــلاة علي الـنـبـي وآلـه ... ما سار فـي جنح الدجنة سـار

وإجازة أخرى من الشيخ عبد الهادي نجا الإبياري إلى السيد محمد الهجرسي ذكر فيها عدداً من شيوخه ومن نصها :

(أجزتك بما تجوز لي روايته، وتجوز في مناهج الإحسان درايته، من منقول الفنون ومعقولها، ومحلول العلوم ومعقولها، مما تلقيته عن مشيختي الذين كانت تشرق الدنيا ببهجتهم، وتشرق سماء الفضل بنضره وجه حضرتهم، كحضره باب فتوحي، ومربى جسمي وروحي، من فتح للعلم والعمل باباً مرتجا، سيدي وأستاذي الوالد السيد رضوان نجا عن مشايخه أعلام الأمة، وبدور الدياجي المدلهمة، كالعلامة الجوهري صاحب النهج وغيره، والعلامة الصبان والأمير الكبير، وثبتهم شهرته مغنية عن ذكره وكشيخنا شيخ الاسلام العلامة القويسنى والضياء الباجوري وثبتهما أشهر من علم، والفقيه المحدث الشيخ محمد محمود الجزائري وسنده أعلا سند في عصرنا يكون لشمم المحدثين أرفع شمم، موصياً لحضرته البهية، بملازمة السنة السنية، والتشبث في معارك مدارك العلوم بأحسن روية، ليروي ظمأ القلوب حين يروي ويسند، ويروي اليه من الثناء الحسن حين يهدي ويرشد، ويتدراكني بدعاته القبول كلما خطرت بساحات فكره، وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه وأوزعنا القيام بشكره، ما هبت الصبا)

عرف الإبياري بغزارة العلم والتبحر في اللغة وعلومها فتصدر للتدريس بالأزهر فدرس فيه صحيح البخاري ومقامات الحريري وحاشية الدمنهوري الصغرى على الكافي في علمي العروض والقوافي، ودرس على يده الكثير من علماء المحروسة وغيرهم من علماء أقطار الدولة الاسلامية ولعل من أبرزهم :

الشيخ محمد علي البسيوني البيباني (توفي عام 1892م)، والشيخ محمد ابن خليفه المدني (توفي عام 1313هـ/1895م)، والشيخ محمد مصطفى الطرابلسي (توفي عام 1897م)، والشيخ حسن أحمد الطويل المالكي (توفي عام 1899م)، والشيخ سيد علي المرصفي (توفي عام 1931م) والشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني (توفي عام 1932م)،

والشيخ أحمد رافع الطهطاوي (توفي عام 1936م) والشيخ مصطفى ابن خليل التونسي وغيرهم.

مشاركته في الحركة العلمية :

شارك العلامة الابياري كعضو في القومسيون الذي شكل لرؤية مادة تنظيم الكتاتيب الاهلية والتي هدفت إلى اصلاح التعليم في الكتاتيب وتحويل ما يمكن تحويله منها إلى مدارس ابتدائية نظامية وكان عدد الكتاتيب وقتئذ حوالي خمسة الاف وتشكل أعضاء القومسيون من رفاعة بك رافع الطهطاوي ناظر قلم الترجمة في ذلك الوقت وعبدالله بك السيد عضو مجلس استئناف الاسكندرية وإسماعيل بك الفلكي ناظر المهندسخانة والرصدخانة، ومحمود بك الفلكي مأمور الخريطة الفلكية والشيخ إسماعيل الحلبي مفتي الأوقاف كما ضم القومسيون بعض أعيان القاهرة والأقاليم بالإضافة إلى شيخنا الإبياري.

وتم دعوتهم إلى الاجتماع في 10 رجب 1284هـ/1868م، وعرض عليهم مشروع اللائحة التي وضعها علي باشا مبارك الذي كان يشغل وكيلاً لديوان المدارس ثم مديراً للديوان ليراجعوا المشروع و يبحثوه ويبدو رائيهم فيه فدرس أعضاء القومسيون اللائحة واقروها وعرفت فيما بعد بلائحة 10 رجب 1284هـ/1868م بالرغم من أن الخديوي أصدر أمره بإجراء العمل بمقتضاها رسمياً في 4 صفر 1285هـوالتي هدفت إلى تنوير العقول كما وصفها علي باشا مبارك ونشرت في الوقائع المصرية لتكون معلومة في كافة القرى والبنادر والثغور.

وكان الشيخ عبدالهادي نجا الإبياري يكتب و يحرر المقالات في مجلة (روضة المدارس) التي انشئت في سنة **1870**م على يد علي باشا مبارك حين كان وزيراً للمعارف العمومية وأنشأها على نفقه الوزارة وإشرافها، فحرر فيها المقالات برفقه العلامة رفاعة رافع الطهطاوي الذي تولى رئاستها والشيخ حسونه النواوي والشيخ حسين المرصفي ومحمود الفلكي وإسماعيل مصطفى الفلكي وطائفة كبيرة من أعلام الأدب والعلوم في ذلك العصر فكانت المجلة ميداناً يتبارى فيه فطاحل الكتاب وكانت توزع مجاناً على الطلبة وتنشر مباحث طريفة لبعض نبهاء التلاميذ مما كان له اثر كبير على نشر العلوم والمعارف بينهم وكانت تصدر مرتين في الشهر واستمرت تصدر لمدة ثماني سنوات وقد كتبت المجلة عن الإبياري في عددها الثالث عشر من سنتها الأولى لما أرسل إليها أحد مقالاته.

كما كان من ضمن اللجنة المشكلة لوضع لائحة قانون خاص بتنظيم الامتحانات في الأزهر الشريف وكان معه الشيخ حسونة النواوي والسيد عبدالرحمن قاضي مصر وأحمد خيري رئيس الديوان ومحمد محمود ناظر المعارف وتم التصديق على قانون هذه اللائحة من مجلس النظار بجلسته المنعقدة في يوم الأثنين **17** من ربيع الثاني سنة **1302**هـ/**1885**م.

علاقته بالأسرة الخديوية :

عهد إليه الخديوي إسماعيل بتأديب أولاده وتعليمهم فثقفهم وعلمهم الآداب العربية وأدى ما كلف القيام به أبلغ اداء، ولم يصرفه ذلك عن التدريس بالأزهر أو عن مجالس العلم والأدب التي كان يقيمها في بيته و يحضرها العلماء و طالبي العلم ، ولعل ما يظهر مدى العلاقة بين الإبياري والخديوي إسماعيل، أنه في عام **1285**هـ/**1869**م

كتب الإبياري قصيدة تهنئة في عرس الأميرة توحيدة هانم الابنة الكبرى للخديوي اسماعيل والتي زوجها إلى منصور باشا يكن (وكيل نظارة الحربية في تلك الفترة) وظلت الاحتفالات في القصر العالي ثلاثة أيام وثلاث ليال ويقول في قصيدته :

شمس الضحى قرنت بالبدر في السرر نعم القران قران الشمس والقمر
هذا لعمرك سعد دائم لهما هذا لعمري تمتام البشر بالبشر
فحبذا فرح لاحت مواكبه كواكبا اشرقت في مصر بالبشر
وحبذا فرح سارت مفاخره في الخافقين مسير الأنجم الزهر
هذا هو العرس للشمس التي بهرت شمس النهار بفخر الملك والخفر
عرس به تضرب الأمثال في عظم إذ لم يكن مثله في سالف العصر

ويقول فيها مادحاً الخديوي إسماعيل:

ذاك المليك الذي ظلت مآثره تلوح في أوجه الايام كالغرر
ذاك الذي أظهرت افكاره سبلا من التمدن لم تخطر على فكر
ذاك الذي صير الامصار حاسدة لمصر إذ غدت في أحسن الصور

ولكن علاقة الود بينهم لم تستمر إذ تعرض الإبياري لمحنة شديدة بعد وشاية تعرض لها وأغلب الظن أنه لم تجمعه علاقه طيبة مع إسماعيل صديق باشا الشهير بالمفتش (مفتش عموم الأقاليم في ذلك الوقت) الذي القى في نفس الخديوي إسماعيل ما اغضبه فيقول الإبياري في مؤلفه (الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية):

"وكنت قد انصرفت من مصر إلى أبيار بسبب وشي وشاه بعض وزراء خديوي مصر إليه في حقي يستوجب الهلاك بغياً وبهتاناً فأرسل إلى أحد أمرائه يقول أن أفندينا بلغه أن

هواء مصر غير موافق لك فتعلقت إرادته أن تتوجه اي جهة تريد غير مصر فعلمت أنه قدر جار لابد من نفاذة فتوجهت إلى فيشا فمكثت بها شهورا ثم إلى أبيار وذلك في 17 ذي الحجة ختام سنة 1289 هـ"

فبعث إليه صديقه الأديب الشامي الشيخ إبراهيم الاحدب (توفي عام1308هـ/1891م) رساله من بيروت بعد علمه بما تعرض له الإبياري من ظلم يقول فيها :

"بلغني خبر تمنيت وضعه وإن كان محمولا، عقِل أبي عن تصور حقيقته وحل من رباط الادراك معقولا بأن سعي الفئة الباغية لدي الحضرة الخديوية أوجب إقامة حضرتك في أبيار بدون تحقيق النظر في إيجاب تلك القضية .... ولعمري لقد هزل الزمان وأهمل الناطق من تمييز نوع الإنسان وساوت مصر بقية الأمصار بتقديم الأسافلة على الأعالي والصغار على الكبار ولا بدع، فالفاضلُ مجحودُ الفضلِ عند الجُهَّال، ولا يصلُ إلى البدرِ نقصٌ إلا وهو في صفةِ الكمال، ولك أسوةٌ أيها المولى الكريم بمن غير حديثه في الزمان القديم، و يعز على محروسة مصر أن تأنس بسواك أو تزهر حدائق جامعها الأزهر بغير سقياك ..

فيا ويح مصر بعدما خرج الفتي ابن رضوان منها ثم يا ويح من فيها

لـقـد أجدبت فضلا وعلقم نيلها ... وكانت تمج الشهد تالله مـن فيها"

وعندما تولى الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل عرش مصر في عام 1296هـ/1879م، لم ينس فضل أستاذه عليه فاحله رفيع المكانة وقربه منه وجعله إمام المعية الخديوية ومفتيها وظل بها حتى توفي.

وكان يلقب بقاموس اللغة العربية، ومما يدل على قوته وتمكنه في اللغة كتابه (النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب) وقد وضع هذا الكتاب في الفصل بين صحيفة (الجوائب) التي انشئها صديقه الأستاذ أحمد فارس الشدياق وكانت تصدر في إسطنبول وصحيفة (البرجيس) التي كان يحررها بالعربية في باريس سليمان الحريري التونسي وكان يملك الصحيفة الكونت رشيد الدحاح وذلك في مؤاخذات لغوية وانتصارات في فنون انشائية حكم الشيخ الإبياري فيها بالتبريز لمنشئ (الجوائب) علي محرر (البرجيس) منهياً الجدل القائم وقد نظم أحمد فارس الشدياق قصيدته الدالية التي يقول فيها شاكراً:

أبدي لنا في مصر نجماً ثاقباً ... لكن ثناه بكل مصر هاد
فيه الفوائد والفرائد فصلت ... موصوله البرهان بالإسناد
ان قال لم يترك لقوال مدى ... او صال هال وطال كل معاد
هو فيصل في الفكر يرضى فصله ... من لم يقنع من الاشهاد

وله أكثر من **40** مؤلفاً نذكر منهم العرائس الواضحة الغرر في شرح المنظومة البدرية المسماة جالية الكدر في فضل أهل بدر واحد، وحسن البيان في نظم مشتركات القرآن، وكشف النقاب لرشف الرضاب، ونفحة الاكمام في مثلث الكلام، ونيل الاماني في شرح مقدمة القسطلاني، وحاشية حصن الحصين في علم الحديث، والكواكب الدرية في الضوابط العملية، وتقرير الفوائد في شرح تقريب العقائد (في التوحيد)، والثغر الباسم في مختصر حاشية البيجوري على ابن قاسم، وصحيح المعاني في شرح منظومة البيباني.

والوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية (جمع فيه المراسلات التي كانت بينه و بين السيد غبراهيم الاحدب)، وباب الفتوح لمعرفة احوال الروح، والنجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس و الجوائب، وسعود المطالع فيما تضمنه الألغاز في اسم حضرة والي مصر من العلوم اللوامع، والقصر المبني على حواشي المغني، ونشوة الأفراح في شرح راحة الأرواح، وترويح النفوس على حواشي القاموس، والبهجة التوفيقة في الشعر والأدب، وزكاة الصيام في ارشاد العوام.

توفي العلامة عبد الهادي نجا الإبياري رحمه الله بعد حياة زاخرة بالعلم والعطاء سنة **1305**هـ/**1888**م ودفن في القاهرة وذكره علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية قائلاً: (الحبر الهمام، وفخر العلماء الأعلام، الإمام الاريب واللوذعي الأديب، الشاعر الثائر، الحافظ الماهر، محط رحال الأدب، قاموس لسان العرب).

قال في حقه العلامة الشيخ إبراهيم السقا (توفي **1875**م) نظماً و نثراً تشوقا إليه عندما كان مسافرا خارج مصر:

لقد كمل الرحمن وصفك بالعلى	وما شين شيء من كمالك بالنقص
ومن جمع الافاق في العين قادر	على جمع أشتات الفضائل في شخص

ويقول الأديب إبراهيم الأحدب (توفي سنة **1308**هـ/**1891**م) في وصف الإبياري ومدحه الكثير نذكر منه:

والناس ضنوا بدقيق الندا ... وليس فيهم من جليل يرمى
وكل ناد من ينادى به ... يلقى الصدا فيه جواب القرى
حاشا مغاني مصر اني لقد ... وردت فيها للندا أبحرا

ونلت بالإخلاص في مدحها على الصفا في مدحها كوثرا
كنانة سهم رجائي بها في غرض العلياء قد أثرا
و يا بن رضوان نجا ذي العلى رضيت من دهري بما أخرا
علامة الدنيا الذي فضله أجل أن يحصي و أن يحصرا
مولى به الدهر حباني يدا عند أولي العلياء لن تكفرا
أضحي أخا الفضل ومصر به وهو أبو المعروف وأم القرى
سراج دنيانا ولولاه ما أغنت فتيلا من ظلام عرا
يمينه للمجد برت كما بها يسارا نال من أعمرا
والأزهر المعمور اضحى به رضا به غرس المنى أزهرا
على معانيه يدير الثنا بسكر يحلو لنا مسكرا

***